

## قاسم

وإذا كُنْتَ لم تَرَ الهلالَ فَسَلِّمْ      لأناسٍ رأوه بالأبصارِ

أبرز الرموز الواردة فى فصل « قاسم » ومعانيها :

| م  | الرمز   | معناه                                   |
|----|---------|-----------------------------------------|
| ١  | قاسم    | محمد ﷺ                                  |
| ٢  | قمر     | خديجة رضى الله عنها                     |
| ٣  | إحسان   | فاطمة رضى الله عنها                     |
| ٤  | زكريا   | أبو طالب عم النبى ﷺ                     |
| ٥  | حسن     | على بن أبى طالب رضى الله عنه            |
| ٦  | صادق    | أبو بكر الصديق رضى الله عنه             |
| ٧  | بدرية   | عائشة بنت أبى بكر وزوج النبى ﷺ          |
| ٨  | يحيى    | ورقة بن نوفل                            |
| ٩  | قنديل   | جبريل عليه السلام                       |
| ١٠ | الجرايع | العرب قبل الإسلام والمسلمون بعد الإسلام |
| ١١ | سوارس   | أبو جهل أو أبو لهب عليهما لعنة الله     |

## قاسم توطئة

إن « قاسم » فى « أولاد حارتنا » لهُو محمد بن عبد الله خاتم الرُّسل صلى الله عليه وسلم ، كما كان أدهم هو آدم ، وجبل هو موسى ورفاعة هو عيسى ، عليهم - جميعاً صلوات الله وتسليماته ، والكاتبون - قديماً وحديثاً - حين يكتبون عن سيرة محمد - صلى الله عليه وسلم - يبدأون بمقدمة - طالَت أم قصرت - ينوهون فيها بفضل العرب - قوم النبى - وشرف نسبهم ، وكرم أرومتهم . والخصائص التى كانت سبباً فى اختيار الرسول الخاتم منهم .

ثم يتحدثون عن النسب النبوى الشريف الطاهر ، من جهة أبيه - عبد الله - حتى يصلوا به إلى عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم شيخ الأنبياء ، وأبى العرب والمسلمين .

ثم من جهة أمه - آمنة بنت وهب - من ولد زهرة سيد قومه فى حياته ، ويبينون طهارة نسبه الشريف من كل الجهات ، وفى كل الطبقات ؛ لأنه - صلى الله عليه وسلم - اصطفاه الله من خير القرون ، ومن خير القبائل ، ومن البيوتات على وجه الأرض لم يسبقه مثيل ، ولا لحقه شبيه ، فهو النموذج « الفذ » ، والإنسان الكامل من بين جميع بنى الإنسان .

وتحدثاً بنعمة الله - لا فخرأ ولا استعلاء - وردت عنه صلى الله عليه وسلم أحاديث - بعضها فى الصحاح - تبين كرم معدنه ، وطيب محتده ، وزكاوة أصله .

فهذا واثلة بن الأسقع يقول :

« قال رسول الله ﷺ : إن الله عزَّ وجلَّ اصطفى بنى كنانة من بنى إسماعيل ، واصطفى من بنى كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفاني من بنى هاشم » (١) .

وهذا محمد بن على يقول :

إن رسول الله ﷺ قال : « إن الله عزَّ وجلَّ اختار ، فاختار العرب ، ثم اختار منهم كنانة ، ثم اختار منهم قريشاً ، ثم اختار منهم بنى هاشم ، ثم اختارني من بنى هاشم » (٢) .

وهذا المطلب بن أبي وداعة يقول :

قال رسول الله ﷺ : من أنا ؟ قالوا : أنت رسول الله ، قال : أنا محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب ، إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه ، وجعلهم في فرقتين ، فجعلني في خير فرقة ، وجعلهم قبائل ، فجعلني في خيرهم قبيلة ، وجعلهم بيوتاً ، فجعلني في خيرهم بيتاً ، فأنا خيركم بيتاً وخيركم نفساً » (٣) .

وهذا أبو هريرة يقول :

إن رسول الله ﷺ قال : « بعثت من خير قرون بنى آدم ، قرناً فقرناً ، حتى بعثت من القرن الذي بعثت فيه » (٤) .

وقال : « خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » (٤) ، فرسول الله لم يكن له مثل في البشر على الإطلاق ، وكفاه ثناء قول الحق فيه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٥) .

---

(١) رواه مسلم في الصحيح . (٢) دلائل النبوة للبيهقي : ١٧٠ / ١

(٣) رواه الترمذی ، وقال : حديث حسن . (٤) رواهما الإمام البخاری .

(٥) القلم : ٤

هذا ، وقد أقرَّ له بالشرف وعلو الشأن ألدُّ أعدائه - قريش - وهم فى  
أتون الخصومة الحاقدة عليه :

ففى الحوار الطويل الذى دار بين هرقل - عظيم الروم - وبين وفد لقريش  
برأسه أبو سفيان قبل إسلامه ، سأل هرقل الوفد القرشى عن النبى الذى ظهر  
فيهم فقال :

« كيف هو فيكم » ؟ فأجاب أبو سفيان نائباً عن الوفد : « هو فىنا ذو  
حسب » ، فقال هرقل : « فكذلك الرُّسل تُرسل فى أحساب قومها » أى  
أعلاهم فضلاً ، وأشرفهم نسباً وحسباً ، هذا هو محمد بن عبد الله خاتم  
رُسل الله ، وها هم العرب قومه وأهله شريحة علياً بين الناس ، ومحمد -  
صلى الله عليه وسلم - هو ذروة سنامها ، وقمرها المنير ، وسراجها الوهاج ،  
وشمسها الساطعة .

وكانت حياته قبل البعثة مثلاً فريداً ، وطرزاً ليس له مثيل : حُسن فى  
الخلق ، وصدق فى القول ، وأمانة فى الفعل ، وبراءة فى الذمَّة ، ورجاحة  
فى العقل ، فلم يسعَ المجتمع الذى عاصره إلا أن يُطلق عليه « الصادق  
الأمين » .



### ● افتراءات « أولاد حارتنا » :

كان هدفنا من هذه السطور التى كتبناها آنفاً ، أن نبين بادئ ذى بدء الفروق  
الهائلة بين ما كتبه الأستاذ نجيب محفوظ - المسلم - عن العرب - قوم خاتم  
الرُّسل - وبين الواقع المعروف للعرب من فضل ومجد ، الذى أشرنا إليه  
إشارات سريعة ، لقد هضم المؤلف العرب ، وهضم معهم تلك المنزلة العليا  
لصاحب الدعوة الخاتمة ، حقَّروهم وشوَّه سمعتهم هم وحدهم . ولم يعاملهم  
معاملة آل حمدان أو آل جبل ( اليهود ) ، ولا معاملة آل رفاعة أو الرفاعيين -

النصارى - وكأن بينه وبين العرب والمسلمين ثأراً موجعاً ، فتعال نقرأ ما قاله فيهم :

### ● الجرابيع :

« البيت الكبير ما زال قابعاً وراء أسواره ، غارقاً فى الصمت ، والذكريات ، وإلى اليمين بيت الناظر ، وإلى اليسار بيت الفتوة ، ثم يجئ حى جبل - أى اليهود - ويليه حى رفاعه وسط الحارة - أى النصارى - أما بقية الحارة فكانت مُقام من لا صفة لهم ، ولا نسب ؟ أو الجرابيع كما كانوا يدعونهم ، وهم أتعس أهل الحارة ، وأضيعهم » (١) .

هذا وصف هندسى جغرافى لحارة الأستاذ نجيب محفوظ الأديب الكبير المسلم ، وفيه يصف العرب - كما ترى - بأنهم جرابيع لا صفة لهم ولا نسب ؟ وكأنهم « لُقطاء » ، وأنهم أتعس أهل الحارة - أى الدنيا - وأضيعهم ؟!

قال هذا الكلام فى مقدمة الفصل الرابع المعنون له بـ « قاسم » ، وهو فى الرواية محمد بن عبد الله خاتم الرُّسل .

وإذا كان العرب « جرابيع » عند المؤلف ، فإن محمداً ﷺ جربوع مثلهم ؛ لأنه واحد منهم أباً وأماً ومنشأً ولساناً ؟ هذه هى منزلة العرب قبل الإسلام ، ومنزلة المسلمين بعد الإسلام عند الأستاذ نجيب محفوظ العربى المسلم ؟!



### ● من هو الجربوع ؟

ليس لهذه الكلمة أصل فى اللُّغة إلا أن تكون محرفة من الجربوع ، وهو حيوان برّى غير أليف يتخذ له بيتاً ( حفرة ) فى الأرض لها بابان ، فإذا أحسَّ بوجود الصياد دخل بيته من باب وخرج من الباب الآخر ، لينخدع الصياد بأنه

---

(١) أولاد حارتنا ص ٣٠٩

ما يزال موجوداً في بيته ، بينما هو قد خرج ناجياً بنفسه ، ومنه اشتق وصف المخادع من الناس « المنافق » ، لأن بيت اليربوع محفور على شكل نفق تحت الأرض ، ويسمى بيته : « نافقء اليربوع » .

أما الدلالة العرفية أو العامة لكلمة « الجربوع » ، فتعنى معانى كثيرة في عرف العامة ، أو العوام ، وكلها تدور حول الذم والقذح وانحطاط الشأن ، فهي « قاموس » السب والشتم .

فيا ترى ماذا أراد الأستاذ نجيب محفوظ من وصف العرب قبل الإسلام ، والمسلمين بعد الإسلام بأنهم جرابيع ؟

هل أراد أن ينسبهم إلى اليربوع الماكر الخداع ؟

أم أراد أن يصفهم بالمعاني « السوقية » المبتذلة التي تُراد في عُرف العوام من كلمة جربوع أو جرابيع ؟

الذي أرجحه أن « الأديب الكبير العربى المسلم » الأستاذ نجيب محفوظ لم يقصد إلا المعاني القاذحة ، والصفات الذميمة المخلة بالشرف والكرامة ، ولن أسوق القول هنا جزافاً أو تحاملاً على الرجل ، لأن لى فى بقية كلامه دليلاً قوياً على هذا الترجيح ، وهاكم البيان :

### ● الحياة فى حى الجرابيع :

ويواصل المؤلف حديثه عن الجرابيع منتقلاً من بيان انحطاطهم اجتماعياً وعريقاً إلى وصف حياتهم فى حيههم فيقول :

« إذ أن الحياة ، وبخاصة فى هذا الحى من الحارة - يقصد حى الجرابيع - لم تكن تعلق كثيراً عن حياة الكلاب ، والقطط ، والذباب ، التى تعثر على رزقها من النفايات وأكوام الزبالة » ؟! (١) .

---

(١) « أولاد حارتنا ص ٣١٠ »

هذه هى حياة الجرايع أو العرب فى حيهم ، حياة حقيرة منحطة لا تكاد تجد فروقاً بينها وبين حياة الكلاب والقطط والذباب ، يلتقطون رزقهم من النفايات ( أى الفضلات ) ومن أكوام الزبالة ؟؟

ومن المؤسف - حقاً - أن الأستاذ نجيب محفوظ ذكر هذه العبارة وهو يتحدث عن كفالة أبى طالب ( زكريا فى الرواية ) لابن أخيه محمد بن عبد الله ( قاسم فى الرواية ) ، وإليك كلامه حتى لا تظن أننا نفترى على الرجل :

« وكان قد مضت فترة غير قصيرة من حياة عم زكريا الزوجية - أى أبى طالب عم النبى - دون أن يرزق بمولود ، ولكن آنس وحشته فى تلك الفترة صغير يتيم هو قاسم - أى محمد - ابن شقيق زكريا عقب وفاة والديه . ولم يجد الرجل - أى زكريا - فى الصغير - أى محمد - عبئاً يؤوده - يعنى يرهقه - إذ أن الحياة - وخاصة فى هذا الحى من الحارة لم تكن تعلقو كثيراً عن حياة الكلاب والقطط والذباب ، التى تعثر على رزقها من النفايات وأكوام الزبالة » (١) .



### ● ما معنى هذا الكلام ؟

يريد أن يقول المؤلف المحترم الأستاذ نجيب محفوظ :

إن أبا طالب لم يجد عناءً فى كفالة محمد بعد وفاة والديه ، والسبب أن الحياة العربية كانت منحطة ، مثلهم مثل الكلاب والقطط والذباب ، فمصدر رزق الجميع هو النفايات ومطارح الزبالة ؟!

---

(١) أولاد حارتنا : (٣١٠) لم نر المؤلف أساء إلى آل حمدان أو آل جيل وهم اليهود ، ولم نره أساء إلى آل رفاعه وهم النصارى ، ولا أساء إلى جيل أو موسى ، ولا أساء إلى رفاعه أو عيسى ولا فى كلمة واحدة ، وهنا يكيل الشتم وينسب النقائص إلى العرب وإلى خاتم الرُّسل ، يكيلها جزافاً بلا عد ، فحسبنا الله ونعم الوكيل .

ويريد المؤلف المحترم مرة أخرى أن يصور لقراء روايته شرقاً وغرباً أن « قاسم »  
أو محمد بن عبد الله أفضل البشر جميعاً نشأ وترعرع في هذه البيئة - بيئة  
الكلاب والققط والذباب ، يلتقط له عمه رزقه من النفايات وأكوام الزباله !!؟

ولذلك لم يتعب عمه في تربيته ، ولذلك وحده ؟!

أرأيت كيف تطاول قلم « الأديب الكبير الأستاذ نجيب محفوظ » على من  
أرسله الله رحمة للعالمين ، والذي قال في وصفه رب العزة وهو أصدق  
القائلين :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ \* وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ  
وَسِرَاجاً مُنِيراً ﴿ (١) .

أهكذا نشأ محمد وتربى يا نجيب ، شكوناك لله رب العالمين ، ما لم تتبرأ  
مما جنيت ، ويا لقبح وشناعة ما جنيت أيها الرجل « الهمام » على قومه ودين  
قومه ورسول قومه ؟ أتحسبه هيناً وهو عند الله عظيم ؟!

لقد افتريت على خاتم الرُّسل ما لم يقله أبو جهل ولا أبو لهب ، ولا حتى  
الشیطان « ؟!

المهم : فقد أقمنا الدليل من كلام المؤلف على أنه لم يُرد من وصف العرب  
قبل الإسلام ، والمسلمين بعد الإسلام ، بالجرايع إلا الانحطاط والتحقيق  
والمهانة المزرية ؟

ولا تظن أن هذا الوصف « الجرايع » مقصور على العرب قبل الإسلام ،  
كلا ، وسوف ترى أن هذا الوصف مستمر حتى بعد أن صار العرب مسلمين  
وإلى أن قبض رسول الله ﷺ .

---

(١) الأحزاب : ٤٥ - ٤٦

## ● فرية شنيعة أخرى :

لم يكتف مؤلف الرواية الآثمة « أولاد حارتنا » بما ألحقه بمحمد ﷺ من إهانات وبذاءات ، بل راح يفترى عليه فرية أخرى شنيعة أظهره فيها لصاً وقليل حياء ، هكذا ورب السموات والأرض ، وسأنقل لك كلامه كاملاً ، وعلى كره مني ، لتأكد بنفسك على صدق ما نقول :

قال المؤلف :

« وكم نظر - أي محمد - إلى بيت الناظر بدهش وإعجاب ، وكم رمق الثمار فوق الأشجار برغبة واشتهاء ؟ ويوماً رأى البواب ناعساً فتسلل - أي محمد - إلى الحديقة بخفة ، دون أن يرى أحداً أو يراه أحد ، وراح يقطع المماش - أي الثمرات - في دهشة وسرور ، ويلتقط ثمار الجوافة من فوق الحشائش ويأكلها بلذة ، حتى وجد نفسه أمام الفسقية - أي النافورة - وعلقت عيناه بعمود الماء المتصاعد من النافورة ، استخفه الفرح فخلع جلبابه ونزل إلى الماء ، ومضى يخوض فيه ويضرب سطحه بيديه ، ويدلك به جسده ، وقد ذهل عما حوله وما يدرى إلا وصوت حاد يصيح بغضب : « يا عثمان يا ابن الكلب ، تعالى يا أعمى يا ابن الأعمى » التفت رأسه نحو الصوت فرأى على السلامك رجلاً متلفعاً بعباءة حمراء ، يشير نحوه بإصبعه المرتجف ، والغضب يشتعل في وجهه ، فاندفع - يعنى محمداً - نحو حافة الفسقية ، وصعد إلى أرض الحديقة مرتكزاً على مرفقيه ، وعند ذلك وجد البواب قادماً مهرولاً ، فجرى - أي محمد - نحو عريشة الياسمين الملاصقة للسور ، ناسياً جلبابه حيث خلعه - أي جرى محمد وهو عريان ؟! - وركض نحو الباب فمرق إلى الحارة - أي وهو عريان ؟! عدا بكل قواه - أي جرى مسرعاً - وراه أطفال فتبعوه مهللين - أي يتتريقون عليه - فنبحت كلاب ، ثم خرج عثمان البواب إلى الحارة ، وراح يجرى وراءه حتى أدركه في منتصف

حيه - أى حى الجرايبع - فقبض على ذراعه وتوقف وهو يلهث ؟! (١) ،  
وعلا صراخ قاسم - أى محمد - حتى ملأ الحى ، وسرعان ما جاءت زوجة  
عمه حامله وليدها - أى زوجة زكريا رمز أبى طالب فى الرواية - ... دهشت  
زوجة عمه لمنظره - أى لأنه عريان - وأمسكت بيده وهى تقول للبواب :  
وحّد الله يا عم عثمان أرعبت الولد ، ماذا فعل ؟ وأين جلبابه ؟ فصاح  
البواب فى تكبر (٢) :

رآه حضرة الناظر ، وهو يستحم فى الفسقية ، هذا العفريت يجب جلده  
دخل الملعون وأنا نائم ؟! لماذا لا تريحونا من عفاريتكم ؟!  
السماح يا عم عثمان ، وحقك على ؟! (٣) .

ها أنذا قد قرأت كلام المؤلف ، وقد حرصنا على نقله كما كتبه دون تغيير  
أو تلخيص ، اللهم إلا بعض جمل توضيحية وضعناها بين شرطتين هكذا -  
... - وإذا أحسنت النظر فيها تجد التهم الآتية لصقها المؤلف بأطهر إنسان  
فى الوجود :

أولاً : هو لص متهم بسرقة ثمار الجوافة ؟!

ثانياً : هو قليل حياء يسير عارياً بين الناس ؟!

ثالثاً : هو عفريت ، أى شيطان رجيم ؟!

رابعاً : هو ملعون ؟!

ونسأل نجيب محفوظ :

هل شهدت أنت هذه الواقعة ؟ وماذا تفعل بين يدي ربك حين يسألك عن

---

(١) لاحظ أن « اللهث » صفة الكلب ، والمؤلف يعرف ذلك تماماً ؟!

(٢) أتدرى لماذا تكبر البواب ؟ لأنه يكلم واحدة من الجرايبع فتكبر عليها ، وهو  
البواب ، هل فهمت ؟

(٣) « أولاد حارتنا » ص ٣١٠ - ٣١١

أدلتك التى تثبت بها هذه الواقعة ؟ ألك دليل يا شيخ ، ألم تخف ربك يوم يعرف المجرمون بسيماهم ، فيؤخذ بالنواصى والأقدام ؟!

ثم هل سمعت عثمانك هذا يشتم محمداً بأنه ملعون وعفريت ؟!

أم أنت الشاتم اللاعن لمن أرسله الله للناس كافة بشيراً ونذيراً .

إن كل كلمة فى الرواية أنت قائلها ، سواء أسندتها إلى أشخاصك أو شخوصك فيها أو أسندتها إلى نفسك ، فأنت القائل ، وأنت الذى سيحاسبك الله يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، تب إلى الله يا شيخ وتبرأ علناً أمام العالم كله من هذا السم الذى صنعه يداك ، وخطه قلمك ، اللَّهُمَّ إلا إن كنت ما زلت مؤمناً به فما لأحد عليك من سبيل فى هذه الحياة الدنيا ، أما فى الآخرة ، فالأمر لله وحده ، يُوفِّي كل نفس ما كسبت ، وما ربك بظلام للعبيد .



### ● اعتذار زوجة زكريا للبواب :

أمر آخر أريد لفت الأنظار إليه ، وهو اعتذار زوجة زكريا أو أبى طالب عم النبى ﷺ للبواب البذى اللسان ، فقد تطاول هذا البواب ، أو تطاول المؤلف نفسه محتتماً بالبواب ، فشتم محمداً بأنه عفريت وملعون ؟! ويجب جلده ، وصاح فى استعلاء على الزوجة التى كلمته بكل أدب أو قل بكل مذلة وخضوع ، ولكنه علا صوته عليها وتغطرس وتكبر وأمرها أن يُمسك قومها عفاريتهم ، ومع هذا كله يأبى المؤلف إلا أن تعتذر المرأة ، وتقول لعثمان البواب :

« السَّامِح يا عم عثمان ، وحقك علىَّ » ؟!

إن السبب - عند المؤلف - فى هذا الاعتذار للبواب أن المرأة جربوعة من حى الجرابيع - أى عربية من حى العرب أو المسلمين - والعرب والمسلمون فى

رواية « أولاد حارتنا » من أحط الناس وأتبعهم وأضيعهم ، فلاعتذار واجب عليها حتى للبوابين ؟!

أما لو كانت هذه المرأة من حى آل حمدان أو آل جبل - أعنى اليهود ، أو كانت من حى رفاعه - أعنى النصارى - يضرب لها البواب ألف تعظيم سلام ؟!

هكذا أراد بهم المؤلف ، وهكذا أراد بنا المؤلف ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . وبعد هذه التوطئة اللازمة ، نأخذ فى عرض أدلتنا على أن « قاسم » فى رواية « أولاد حارتنا » هو محمد بن عبد الله خاتم النبیین صلى الله عليه وسلم .



### ● الأدلة :

#### الدليل الأول - التنسيق الوجودى الزمنى :

المؤلف - كما قلنا مرات - يتتبع خط سير التاريخ الدينى النبوى فى رسم صور كبار أولاد الحارة ، فبدأ بأدهم وهو آدم أبو البشر ، ثم جبل وهو موسى ، ثم رفاعه وهو عيسى ، مراعيأ فى الذكر الوجود الزمنى الأسبق فالأسبق ، وها هو ذا يتحدث عن قاسم الذى هو آخر حلقة فى التاريخ الدينى النبوى ، فهذا التنسيق هو دليلنا الأول على أن « قاسم » هو محمد بن عبد الله خاتم الرُّسل .



#### الدليل الثانى - نشأته يتيمأ صلى الله عليه وسلم :

هذه أول لمحة فى رسم شخصية الرسول الخاتم فى رواية « أولاد حارتنا » وقد نقلنا منذ قريب كلام المؤلف فيها عند حديثه عن « زكريا » رمز عمه أبى طالب فى الرواية . بيد أن الجديد الذى نذكره فيها - هنا - أن الرواية لم تذكر كفالة

جده عبد المطلب له قبل عمه ، وهذا لا يؤثر فى صدق الدليل ؛ لأن قول المؤلف بأن طفلاً صغيراً يتيماً آتس زكريا بعد وفاة والديه ، هذا القول كاف فى صحة الاستدلال ، وربما كان قصر المدة التى كفل فيها عبد المطلب « قاسم » وطول المدة فى كفالة « زكريا » هو الذى حمل الرواية على إهمال الأولى وإثارة الثانية ، أو أن التمويه هو السبب ؟



### الدليل الثالث - مساعدة قاسم لعمه على أعباء المعيشة :

من المعروف فى سيرة محمد ﷺ - قبل البعثة - أنه لم يرض أن يكون عالة على عمه أبى طالب وهو فى كفالته ، وأحب أن يعمل لمساعدة عمه على أعباء المعيشة ، هذه حقيقة ، وكان عمله فى حدود النشاط الشريف ، الذى كان سائداً فى المجتمع فى ذلك الوقت ، وقد ألمحت رواية « أولاد حارتنا » إلى هذه الواقعة ، ولكن فى صورة مضحكة ، مزرية .



### ● الواقعة فى الرواية :

لقد لعب خيال الكاتب فى تصوير العمل الذى زاوله محمد ﷺ ، ومبلغ ظنى أن المؤلف ما أراد بهذا التصوير الخرافى إلا إضحاك قراء روايته من الأعماق ، وفيما يلى كلامه :



### ● بياع بطاطة :

لم يجد مؤلف الرواية عملاً لينسبه إلى أبى طالب إلا بياع البطاطة على عربة كارو - هكذا والله زعم المؤلف - فكان لا بد لقاسم - محمد ﷺ - أن يساعد عمه فى المهنة نفسها - بيع البطاطة - ؟

ومما يدعو إلى العجب أن يصور الأستاذ نجيب محفوظ الرسول الخاتم فى

صورة مزرية ، وهو « يزق عربة كارو » وينادى كما علمه عمه : « بطاطة العمدة - بطاطة الفرن » ؟! (١) .

ألم يكن فى وَسْع المؤلف أن ينسب إلى أكرم إنسان عند الله عملاً آخر غير « زق العربة الكارو وبيع البطاطة ، ونداء غير هذا النداء السخيف :

بطاطة العمدة - بطاطة الفرن ؟!

ألهذه الدرجة هان لديك محمد ﷺ ؟!

\* \*

● بين « شو » و « محفوظ » :

لقد كان « برناردشو » النصرانى البروتستانتى أعرف بمنزلة محمد ﷺ ، وأرعى لحرمة من « محفوظ » المسلم ؟!

« شو » دافع عن رسول الإسلام ولم يكن من أتباعه ، فقد كان يشاع فى حياة « شو » وصف محمد ﷺ بأنه راعى غنم ، ردّد هذا الوصف على سبيل التهكم المستشرقون وأساتذتهم المبشرون وبعض مثقفى الغرب ، فكتب « شو » مسرحية كان فى بعض مشاهدتها عبارة تقول على لسان أحد ممثليها يخاطب أولئك المتهمكين على محمد ﷺ :

إن محمداً الذى تصفونه بأنه راعى غنم ، كان يصف تلاميذ المسيح بـ « الخواريين » ، وكان من الممكن أن يسميهم : صيادى سمك ، ولكان صادقاً لو فعل .

هذا « برناردشو » ، أما نجيب محفوظ فلم يجد وصفاً لائقاً بهذا الرسول العظيم إلا أن يكون « بيّاع بطاطة » ؟!

\* \*

---

(١) « أولاد الحارة » ص ٣١٢ ملخصاً .

## الدليل الرابع - رعى الغنم :

رعى النبي ﷺ الغنم فى شبابه قبل البعثة ، رعاها لأهل مكة ، ولعمه ، وهى مهنة تدرب صاحبها على الحكمة وحسن التصرف فى سياسة الأمور ، كما تدربه على الصبر وتحمل المعاناة ، وهذه صفات لازمة لمن سيكون نبياً ، وهى سُنَّةُ الأنبياء قبل بعثتهم ، وإن لم يشتهر رعى الغنم إلا فى حياة نبياً صلى الله عليه وسلم .

فقد روى الإمام البخارى فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال :

« ما بعث الله - عزَّ وجلَّ - نبياً إلا راعى غنم ، فقال أصحابه : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا رعيته لأهل مكة بالقراريط » (١) .

وقد أورد مؤلف الرواية هذه الواقعة مع كثير من التزوير .



## ● الواقعة فى الرواية :

نذكر أولاً كلام مؤلف رواية « أولاد حارتنا » ، ثم نعقب عليه . قال :

« لم يكن يمر يوم دون أن يزور ( معلمه ) ، كان يحبه ويسعد بأحاديثه ، ووجد فيه رجلاً محيطاً بأخبار حارته ، حاضرها وماضيها ، ويعرف ما يتغنى به شعراء الرباب وأكثر (٢) . . وكان يقول - أى قاسم - ليحيى - أى ورقة ابن نوفل - :

إنى أرى أغناماً من كل حى ، عندى غنم لجبل - أى لقوم موسى وهم

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب ( الإجارة ) ، باب : ( رعى الغنم ) ، انظر فتح

البارى : ٤٤١/٤ ، وأخرجه ابن ماجه وابن سعد فى الطبقات وغيرهم .

(٢) أذكر القارئ مرة أخرى بأن شعراء الرباب رمز فى الرواية للرواة والدعاة

والقصصيين الدينيين .

اليهود - وأخرى لرفاعة - يعنى للنصارى أتباع عيسى - وثالثة : للموسرين من حيناً . أفلا ترى أنني مثل رفاعة ؟! - أى مثل عيسى - .

فرمقه الرجل - أى نظر ورقة إلى محمد - باستنكار وقال :

« رفاعة ؟ أنت مثل رفاعة ؟ » وأنت شاب مولع بالنساء ، ترصد عند المغيب فتيات الخلاء ؟!

فابتسم قاسم - أى محمد - متسائلاً : وهل فى ذلك عيب يا معلمى ؟!  
قال يحيى : « أنت وشأنك ، ولكن لا تقل : إنك مثل رفاعة » ؟! (١) .



#### ● تعقيب :

نقول أولاً : إن هذه الفقرات المنقولة حرفياً من « أولاد حارتنا » دليل قاطع على أن « قاسم » فى الرواية ، هو محمد بن عبد الله رسول الله إلى الناس أجمعين ، وخاتم رُسُل الله الكرام البررة .

أما ثانياً فنقول :

إن فى هذه الفقرات التى نقلناها كفرة بما أنزل الله أو ما يشبه الكفر ؛ لاشتمالها على دعاوى شديدة الخطورة وكذب على الله ورسوله ؟!

فأولاً : يريد مؤلف الرواية أن يقول : إن لمحمد ﷺ معلماً وأستاذاً من البشر ، هو ورقة بن نوفل النصرانى الكاهن . وقد ورد هذا مرتين فى هذه الفقرات ، المرة الأولى فى كلام المؤلف مباشرة حيث قال :

« ولم يكن يمر يوم دون أن يزور معلمه - يقصد أن محمداً ﷺ كان حريصاً على زيارة ورقة بن نوفل كل يوم ، والمرة الثانية فى العبارة التى افتراها افتراء

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ٣١٨

متعمداً على محمد ﷺ ، حيث زعم الكاتب أن « قاسم » قال ليحيى :  
يا مُعلِّمى ؟ ! .

وثانياً : حيث زعم الكاتب أن « قاسم » أى محمداً - كان معجباً بما كان  
لدى يحيى - أى ورقة بن نوفل - من علم محيط بأخبار الحارة - يعنى الدنيا  
ما ضيها وحاضرها ؟ !

يريد المؤلف أن يقول : إن الصلة العميقة بين محمد وورقة كفيلة ، بأن  
يكون محمد قد تلقى علوماً غزيرة عن ورقة بن نوفل ، ومعنى هذا أن المؤلف  
يؤيد ما يدعيه المبشرون والمستشرقون من أن لمحمد معلماً وأستاذاً من البشر ،  
وأن القرآن نفسه ليس وحياً من عند الله ، بل هو كلام محمد اقتبسه من تورا  
اليهود وأناجيل النصارى ؟ !

ثالثاً : اتهام الكاتب محمداً ﷺ بالفسق النسائى ، وأنه يترصد الفتيات كل  
مغيب شمس ؟ ! وهذا بدوره مجارة صريحة لأباطيل الاستشراق والتبشير  
الذين يروجون أن محمداً كان زير نساء ؟ ! وقد أسند المؤلف هذا القول ليحيى  
أو ورقة بن نوفل ، وورقة لم يقل هذا أبداً ، وإنما الذى قاله هو الأستاذ  
نجيب محفوظ ، إى ورب السموات والأرض هو الأستاذ نجيب محفوظ .

وعبارته هذه لا تنصرف إلا للفسق النسائى وليس كثرة الزواج ، لأن  
محمداً قبل البعثة لم يتزوج سوى خديجة ، فكيف يقول له ورقة - والحالة  
هذه - : إنك شاب مولع بالنساء ، هذه واحدة . أما الثانية فإن قوله : ترصد  
عند المغيب فتيات الخلاء ، نص قاطع فى أن الاتهام إنما كان بالفسق النسائى ،  
وليس كثرة الزواج ؟ !

رابعاً : إن الأستاذ نجيب محفوظ يُفضِّل عيسى ابن مريم على خاتم الرُّسل ،  
وهذه دعوى لم يدَّعِها عيسى لنفسه ، ولا ادعاها رسول قط لنفسه ، وإنما  
ادعاها الأستاذ نجيب محفوظ محتمياً بورقة بن نوفل ، حيث أسند إلى ورقة  
أنه قال لمحمد ﷺ :

« رفاعه ؛ أنت مثل رفاعه ، لا تقل : إنك مثل رفاعه ؟! » ، وورقة لم يقل هذا ، ولا محمد قال لورقة : أفلا ترى أنى مثل رفاعه ؟ إذن فالقائل هذا وذاك هو الأستاذ نجيب محفوظ ، لا أحد غيره ، اللهم إلا المبشرون والحاقدون من المستشرقين ؟!

نحن نفهم أن يقول هذا الكلام فى محمد القس صموئيل زويمر المبشر الحقود ، أو يقوله جولد زيهير المستشرق الحسود .

أما أن يقوله الأستاذ نجيب محفوظ المسلم ، فهذا ما لا نفهمه ولا نهضمه ، ولا نقره ، ولا نغمض عنه عيناً ، ولا نكف عنه لساناً ولا قلماً ، والأمر لله من قبل ومن بعد ، وما أحرانا أن نردد قول الشاعر الحكيم :

قومى همو قتلوا - أُتيمَ - أخى      فإذا رميت يصيبنى سهمى ؟!

\*      \*

الدليل الخامس - الاختلاء فى غار حراء :

عزف النبى ﷺ عن حياة اللهو وعبث الشباب منذ طفولته ، فلم يشارك أهل مكة فى سمرهم ولهوهم ، وحُبب إليه الخلاء ، فكان يخلو فى غار حراء الليالى ذوات العدد ، يتأمل ويتفكر فى ملكوت السموات والأرض ، وما كان يترك الاختلاء إلا ليتزود ويعود من جديد ، فاسمع إليه وهو يحكى عن نفسه :

« ما هممت بشىء مما كان أهل الجاهلية يهمون به ، إلا ليلتين كلتاها عصمنى الله فيهما :

قلت ليلة لبعض فتیان مكة ، ونحن فى رعاية غنم أهلنا ، أبصر لى غنمى حتى أدخل مكة ، فأسمر فيها كما يسمر الفتیان ، فقال : بلى ، قال : فدخلت حتى إذا جئت أول دارٍ من دور مكة ، سمعت عزفاً بالغرايل والمزامير ، فقلت : ما هذا ؟ ف قيل : تزوج فلان فلانة وضرب الله تعالى على أذنى ،

فوالله ما أيقظني إلا مسُّ الشمس ، فرجعت لصاحبي ، فقال : ما فعلت ؟ قلت : ما فعلتُ شيئاً ، ثم أخبرته بالذي رأيت .

ثم قلت ليلة أُخري : أبصر لى غنمى حتى أسمر بمكة ، ففعل فدخلت ، فلما جئت مكة سمعت مثل الذى سمعت تلك الليلة ، فسألت فقيل : فلان نكح فلانة ، فجلست أنظر ، وضرب الله على أذنى ، فوالله ما أيقظني إلا مسُّ الشمس ، فرجعت إلى صاحبي فقال : ما فعلت ثم أخبرته الخبر ، فوالله ما هممت ولا عدت بعدها لشيء من ذلك حتى أكرمنى الله - عزَّ وجلَّ - بنبوته (١) .

لذلك حُبُّ إليه الخلاء متأماً ذاكراً ، فزكا قلبه ، وصفت نفسه ، وطهرت سيرته ، وحفظه ربه من المحقرات وسفاسف الأمور ، حتى صار صاحب أكبر رسالة فى التاريخ الدينى النبوى .



### ● الواقعة فى الرواية :

عرضت الرواية هذه الواقعة فى الفقرة الآتية :

« وانطلق إلى الخلاء ليزور المعلم يحيى - ورقة بن نوفل - لكنه توقف عند صخرة هند (٢) - يعنى جبل النور أو غار حراء - وأخذ يفكر فى أمر الفتوات من مثل لهيطة وسوارس - أبو لهب وأبو جهل - وودَّ لو نعم بالسعادة المتاحة ، ويغمض العين عما حوله ، وتذكر أن هذا التساؤل قد حير من قبله « جبل ورفاعة - يعنى موسى وعيسى - كان يتأمل وهو ينظر إلى السماء فوق

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى : ٣٤/٢ ، ودلائل النبوة لأبى نعيم ص ١٤٣ ، والبداية والنهاية لابن كثير : ٢٨٧/٢ وغيرهم .

(٢) صخرة هند فى الرواية هى المكان الذى ارتكب فيه قدرى - قابيل - الفاحشة مع « هند » ابنة إدريس - إبليس - وهنا يطلقها المؤلف على جبل النور وغار حراء .. ؟!

الجليل ، ورغم سعادته بمولودته إحسان - يعنى فاطمة - كان يشتد به الفكر ، ويشرد لُبُّه ، حتى ظنَّت زوجته قمر - يعنى خديجة - أن أحداً فى البيت أساء إليه ، فنفى ذلك ، ثم قالت له : لعلها عينُ أصابتك ، قال : لعلها « (١) » .

ما يزال المؤلف مغرماً بالتنويه بالعلاقة التى بين قاسم ويحيى أو محمد ﷺ وورقة بن نوفل ، ونلفت النظر إلى أن صخرة هند هذه لها معنى سيئ كل سوء فى الرواية ( راجع الهامش رقم ٢١ ) .

ومع ذلك جعل عيسى عليه السلام من قبل يتلقَّى رسالته السماوية عندها ، ثم جعل محمداً - هنا - يتوقف عندها ، فهل لذلك من معنى عند المؤلف ؟ سنعود إلى هذا عند تلقى محمد ﷺ التكليف بالرسالة الخاتمة . وهذا ما وعدنا به القارئ من قبل .

وأياً كان الأمر فإن ورود الاختلاء فى الرواية فى فصل « قاسم » دليل آخر على أن « قاسم » فى الرواية هو محمد بن الله ﷺ .



#### الدليل السادس - الزواج من خديجة :

من أبرز الملامح فى رسم شخصية محمد التاريخية صلى الله عليه وسلم : زواجه من السيدة الفاضلة خديجة بنت خويلد ، وكانت من فضليات نساء قريش نسباً وحسباً وخلقاً ، ولما كان مؤلف « أولاد حارتنا » فى فصل « قاسم » يتتبع وقائع السيرة المحمدية واقعة إثر واقعة ، لم ير بدأ من الحديث عن زواجه صلى الله عليه وسلم من السيدة خديجة رضى الله عنها .

ومع أنه - كعادته - يخضع هذه الحقائق للخيال الجامح ، بل الآثم فى أكثر الأحيان ، فإن خياله - هنا - خرج من كل حدٍّ معهود . وفى استدلالنا

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ٣٤٥ - ٣٤٦

بما جاء عن هذا الزواج فى رواية « أولاد حارتنا » على أن « قاسم » فى الرواية هو محمد بن عبد الله ، فإننا لن نقف إلا على تصويره لحفل الزفاف ، لنرى كيف زُفَّتْ قمر - وهو الاسم الرمزى لخديجة فى الرواية ، وماذا كان سلوك « العريس » وسلوك مدْعُوِيَّه من أمثال صادق - أى أبى بكر الصّدِّيق رضى الله عنه ، وحسن - أى على بن أبى طالب رضى الله عنه . وننقل فى السطور الآتية كلام المؤلف فى وصف ليلة الزفاف :

« لنبدأ الزفة : تقدم كعبورة الزفة ، فى جلباب على اللحم ، يرقص حافياً ، ومركزاً على قمة رأسه نبوتاً ، وخلفه سار المنشدون . . ثم موكب العريس . . وأحاط بالجميع حملة المشاعل ، وراح المنشد يغنى بصوت مليح :

الأوّلَى آه من عيني دى .

والثانية آه من إيدى دى .

والثالثة آه من رجلى دى .

أصل اللى شبكتنى مع المحبوب عيني دى .

ولمّا سلّمتُ عليه سلّمتُ بإيدى دى .

وادى اللى ودتنى للمحبيب رجلى دى .

وتعالت الآهات من الأفواه المخمورة المخدرة ، والموكب يشق طريقه . . والليل ينطوى فى غفلة من السعداء ، وعادت الزفة كما ذهبت فى بهجة وانسراح . . وبلغ الطرب من زكريا - أى أبى طالب عم الرسول - منتهاه ، فتناول عصاه وراح يرقص وهز الرأس مرة ، والصدر مرة أخرى ، كما هز الوسط ؟! وصور بحركاته هيئة القتال وهيئة الوصال مؤذناً بحسن الختام ، عند ذاك انتقل قاسم - محمد ﷺ - إلى الحريم ، رأى قمر - أى خديجة عروسه - عند ملتقى صفين من المدعوات ، فاتجه نحوها يخوض أمواجاً من الزغاريد ، وتناول يدها فقامت ثم سارا معاً تتقدمها راقصة كأنما تلقى عليها

الدرس الأخير ، حتى احتوتهما حجرة العُرس ، وبإغلاق باب الحجرة انفصلا انفصالا كلياً عن العالم الخارجى « ؟! (١) .

وليس لنا تعليق على هذا السخف إلا سؤال نوجهه للأستاذ نجيب محفوظ :

هذا الوصف الآثم الذى صورته بيدك :

أهو وصف لزفاف النبى الطاهر العظيم ؟

أم لحفل ماجن من أحفال ليلة رأس السنة ، أقيم فى أحد مواخير الهرم ؟!

\* \*

الدليل السابع - الإتجار فى مال خديجة :

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أُجِرْتُ نفسى من خديجة ، سَفَرَتْنِ بقلوص » .

هذا الخبر وإن تكلم فيه رجال الحديث ، فإنه يشير إلى واقعة مُجمَع عليها بين كُتَّاب السير ، وهى اشتغال النبى ﷺ بالإتجار فى مال خديجة .

وقد أمنت خديجة على مالها لما عُرِف عنه من الصدق والأمانة والاستقامة فى القول والعمل ، وما من كتاب من كتب السيرة المحمدية ، كسيرة ابن هشام والسيرة الحلبيّة ، والروض الأنف للإمام السُّهَيْلى إلا وفيه نصوص صريحة بعمل النبى فى مال خديجة ، والسفر به إلى الشام ومعه غلامها ميسرة .

وفى تتبع رواية « أولاد حارتنا » حرص مؤلفها على الإشارة إلى هذا العمل ؛ لأنه جزء من سيرة محمد ﷺ ، الذى يرمز إليه المؤلف بـ « قاسم » .

\* \*

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ٣٣٩ - ٣٤٠

## ● الواقعة فى الرواية :

إتجاره - صلى الله عليه وسلم - فى مال خديجة كان قبل أن يبعث رسولاً ، وقبل أن يتزوج منها ، لكن رواية أولاد الحارة عكست الوضع ، فجعلت الزواج قبل الإتجار ، وأن فكرة الإتجار طرأت فى ذهن خديجة ، وهما فى جلسة عائلية ، ولعل هذا العكس المتعمد لون من ألوان الفر بعد الكر ، أو الإحجام بعد الإقدام لئلا يعرف قراء الرواية « جُوَانِيَات » الأستاذ نجيب محفوظ ، فهو - فضلاً عن التعقيم الرمزي - كثيراً ما يحرف مجريات الأحداث .

ومن المستحسن أن ننقل كلامه ليشاركنا القراء فى حقيقة ما نقول :

قال المؤلف :

« وقالت له يوماً وهما جالسان جنباً إلى جنب فى حجرة الجلوس :

أراك كالحمل الوديع : لا تطلب ولا تأمر ولا تزجر ، وجميع ما فى البيت ملك يدك .

فداعب خُصْلة من شعر رأسها المصبوغ بالحناء؟! وقال : بلغتُ حالاً لا يُطلب عندها شئ ؟

فشدَّت يده بقوة وقالت : حدثنى قلبى من بادئ الأمر بأنك خير الرجال فى حيناً - يعنى حى الجرابيع - لكنك لأدبك تبدو أحياناً كالغريب فى دارك ، ألا تدري أن ذلك يضايقنى ؟

قال : إنك تخاطبين رجلاً نقله حظه السعيد من الرمال المحرقة إلى جنة البيت السعيد . فتظاهرت بالجد . . وقالت : لا تظن أنك ستلقى راحة فى بيتى ، ستحل اليوم أو غداً محل عمى فى إدارة أملاكى ، فهل تستثقل ذلك ؟ فضحك قائلاً :

إنه اللهو بالقياس إلى رعى الغنم .

وتولى إدارة أملاكها الموزعة بين حى الجرايع والجمالية « ؟! (١) .  
ونسأل : من هى صاحبة الأملاك إن لم تكن خديجة ؟  
ومن هو قاسم مدير تلك الأملاك إن لم يكن محمداً ؟  
وهل أجدت رموز الكاتب ووسائل التمويه الأخرى فى إخفاء « جَوَانِيَّاتِه »  
شيئاً ؟

كلا ، لقد تحولت « الجَوَانِيَّات » إلى « بَرَانِيَّاتٍ » ما فى ذلك من ريب .



#### الدليل الثامن - بدء نزول الوحي :

تتويج محمد ﷺ بالرسالة ، وبدء نزول الوحي الأمين عليه مثل الشمس  
حين تتوسط المسافة بين المشرق والمغرب ، وتتعامد على الأرض من كبد  
السماء ، قوة وظهوراً ، وأى كاتب فى سيرة محمد يحرص كل الحرص على  
إثبات هذا الحدث الضخم ، حتى يتم له الوفاء برسم الشخصية التاريخية  
لهذا الرسول الكريم .

لذلك عمد مؤلف رواية « أولاد حارتنا » للحديث عن تتويج محمد  
بالرسالة ، وإن تحدث عنها من وراء حجاب ، بيد أنه غلّفها بخياله ورموزه ،  
وهى - مع هذا - ظاهرة فى الرواية ظهور الشمس فى كبد السماء . وها نحن  
نلخص كلام الرواية - لطوله - فى الأسطر الآتية :

#### ● الواقعة فى الرواية :

مهدت الرواية لبدء الوحي بغياب قاسم - محمد - عن منزله يوماً ، غياباً  
لم يُعْهَد من قبل ، حتى كادت قمر - خديجة - أن تُجن ، فأذاعت النبأ ،  
وكونت فريق بحث نشطاً من زكريا وحسن - أبى طالب وابنه على ،  
وجاريتها سكيّنة ، قام هذا الفريق بالبحث عنه فى كل مكان يُظن وجوده فيه ،  
فلم يعثروا له على أثر ، فهداهم تفكيرهم للسؤال عنه عند المعلم يحيى -

---

(١) أولاد حارتنا ص : ٣٤١ ، ٣٤٢

ورقة بن نوفل الكاهن النصراني - فوجدوه نائماً عنده ، وأن ورقة أخبرهم أن قوماً وجدوا « قاسم » مغشياً عليه ، فحملوه إلى خلوة ورقة ، ولما طلبوا منه إيقاظه أبى ، وقال : دعوه حتى يصحو هو من نفسه ؟

ولما عاد قاسم - محمد - إلى زوجه قمر - خديجة ، لاحظت عليه ذهولاً وشروداً ، فألححت عليه أن يخبرها ماذا حدث له ، فقال (١) :

« سأبوح به لك لأول مرة ، أنت أول شخص يسمعه ، لكن ينبغي أن تصدقيني ؛ لأننى لا أقول إلا الحق ، أمس حدث شئ عجيب ، هناك تحت « صخرة هند » - وأنا وحدى فى الليل والخلاء ، وإذا بصوت غريب يقول بغتة : مساء الخير يا قاسم ، فارتعدت من وقع المفاجأة ، ورفعت رأسى ، فرأيت شبح رجل واقف على بعد خطوة من مجلسى ، وقلت له : مساء الخير من أنت ؟

قال لى : أنا قنديل خادم الجبلاوى » (٢) .

ويقول المؤلف : إن قنديل - يعنى جبريل - قال لقاسم نقلاً عن الجبلاوى : « إن جميع أولاد الحارة أحفاده على السواء ، وإن الوقف ميراثهم على قدم المساواة ، وأن الفتونة شر يجب أن يذهب ، وإن الحارة يجب أن تصير امتداداً للبيت الكبير ، وأن « قاسم » سأل قنديل - جبريل - بأدب قائلاً : ولماذا يبلغنى ذلك ؟ فقال قنديل : لكى تحققة بنفسك .

يكفينى ما لخصناه وما نقلناه حرفياً من كلام الرواية ، يكفينى دليلاً إلى ما قدمناه من أدلة على أن « قاسم » فى رواية « أولاد حارتنا » هو محمد رسول الله إلى الناس جميعاً ، بيد أن حديثاً كنا قد وعدنا به من قبل حان الآن موعدده :

---

(١) الجزء الآتى نقله حرفياً من كلام المؤلف .

(٢) « أولاد حارتنا » ص ٣٤٧ - ٣٥٣

## ● صخرة هند :

وردت هذه العبارة أول مرة فى الرواية فى فصل « أدهم » رمز آدم ، وبخاصة عندما نشأت علاقة شيطانية بين قدرى أو قابيل أحد وَلَدَيَّ آدم ، وهند بنت إدريس الذى رمز به المؤلف لإبليس أو الشيطان ، فقد أَرَانَا المؤلف - هناك - أن قدرى وهنداً هذه اقترفا معاً « الفاحشة » عند صخرة أسماها المؤلف « صخرة هند » (١) .

ومعنى هذا أن « صخرة هند » مكان ملوث - ولو فى خيال الكاتب - وأنه موطن أول جريمة زنا فى الوجود .

وإذا كان الأمر - كذلك - وهو كذلك فى خيال الرواية ، فهل يليق أن يكون هذا « الموضع » موطناً لنزول الوحي على الرُّسُل والأنبياء ؟ لقد رأينا من قبل أن عيسى عليه السلام كلمه الجبلاوى رمز الألوهية ( الله ) فى الرواية عند صخرة هند ؟ وتَوَجَّ الجبلاوى عيسى ابن مريم بالرسالة عند صخرة هند ؟ ونرى - هنا - فى فصل « قاسم » الذى ترمز به الرواية إلى محمد ﷺ أن « قنديل » - أى جبريل - نزل على محمد عند صخرة هند ؟

فهل للرواية من هدف فى جعل هذا الموضع مَهْبِطاً لجبريل ، أمين الوحي على أنبياء الله ورُسُلِهِ ؟

نعم ، لا بد من هدف ، فقد عودتنا الرواية أنها لا تختار رموزها إلا لمعنى تريده ، وهدف تسعى إليه ، فماذا يا تُرى المعنى المقصود من هذا الرمز ومجئ رسائل السماء من ناحية « صخرة هند » هذه السيئة السمعة فى الرواية ؟

هل عند القراء من جواب ؟ أما أنا فقد ظننتُ ظناً أن الهدف كذا ، ولكنى أحفظ بهذا الظن ؛ لأن بعض الظن إثم ، ومن يدرينى من أى نوع ظنى هذا ؟ أهو من « البعض » الموصوف بأنه إثم ، أم من البعض الآخر الصائب البرئ .

---

(١) هذا كله من صُنْع خيال الكاتب ، وليس له وجود فى الواقع .

ومع هذا فما زلت فى حيرة من هذا التلازم بين موطن الجريمة النكراء -  
صخرة هند - وبين نزول الوحي على الرُّسل عندها ؟



### • تزوير صارخ :

محمد - صلى الله عليه وسلم - بعد أن نزل عليه الوحي لأول مرة ذهب  
إلى بيته وهو يرتجف من هول الموقف ، وقال لخديجة : زملونى زملونى ،  
ولم يختف كما زعمت الرواية ، ولم يُعثر عليه وهو فى حالة إغماء ، ولم  
يحمّله أحد إلى خلوة ورقة بن نوفل ، هذه افتراءات وتزويرات صارخة تشوّه  
بها الرواية سيرة عطرة لم يُعرف لها مثيل فى الوجود ، ولكن الرواية - فيما  
خطر لى - تريد أن تشير إلى توطيد العلاقة بين النبى وورقة ، لدرجة أن  
القوم الذين وجدوه مغشياً عليه فى الطريق - على زعم الرواية - حملوه إلى  
« ورقة » ولم يحمّله إلى بيته هو ؟ وكأن ورقة ولى أمره ، وأعرف من  
أهله ، وأن علاقة محمد ﷺ بورقة أوثق من علاقته بأهله وزوجته ؟ هذه  
الافتراءات لا تخدم إلا مزاعم المبشرين الحاقدين على خاتم الرُّسل ،  
والمستشرقين تلاميذ المبشرين ، والناهجين نهجهم فى الحقد على الإسلام ،  
وعلى رسول الإسلام وعلى المسلمين ؟

أيها القارئ الكريم : أأست معى فى أن هذه الرواية رواية آئمة يجب  
إعدامها من الوجود ؟



### الدليل التاسع - أصداء بدء نزول الوحي :

كان لتتويج محمد ﷺ بالرسالة الخاتمة أصداء مدوية فى مكة ، ثم خارج  
مكة ، ثم فى العالم المعمور إذ ذاك ، والذى يهمنى - الآن - صدى بدء  
الوحي فى الطور الأول من الرسالة ؛ لأن رواية « أولاد حارتنا » زوّرت

واختلقت وهى تحكى بأساليبها الرمزية ، وحيلها التعبيرية الماكرة ما أحدثه نزول الوحي من آثار ، ودعونا نلخص كلامها بكل أمانة خشية التطويل :

### ● تزوير موقف خديجة رضى الله عنها :

معروف أن رمز خديجة فى الرواية « قمر » ، وقد أظهرتها الرواية فى حالة شديدة من الشك والارتياب فى صدق محمد ﷺ ، حين أخبرها بأن « قنديل - أى جبريل - خادم الجبلأوى كلمه ، وأبلغه برسالة من الجبلأوى ، بأن يحقق بنفسه مساواة أولاد الحارة ، أو أحفاد الجبلأوى فى الوقف ، أى أن خديجة ارتابت فى أمر الرسالة وبدء نزول الوحي ، وراحت تجادل النبى وتنازعه فيها ، ثم تلجأ إلى البكاء من القلق النفسى الذى أصابها ، فزوجها لم يُجربْ عليه كذب قط . والأمر الذى يدعيه شديد الغرابة والخطورة ، ولم يملك محمد ﷺ أمام ارتيابها إلا أن يعفيها من تصديقه ؟! <sup>(١)</sup> ، ثم لم تصدقه إلا بعد عناء طويل ؟!

هكذا صورت الرواية موقف السيدة خديجة رضى الله عنها ، فكذبت - أعنى الرواية - على الله ورسوله ، وعلى أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها ؟!



### ● الموقف الحقيقى :

إن الموقف الحقيقى لخديجة من التصديق بالرسالة يختلف تماماً عما زعمته الرواية زوراً وبهتاناً :

كانت خديجة أول من علم ببدء نزول الوحي على خاتم الرُّسل ، وكانت أول السابقين إلى الإسلام ، وعلى عكس ما زعمت الرواية ، فإن خديجة لم يخالجهما أدنى شك فى ما قاله لها صلى الله عليه وسلم ، ولما أخبرها الخبر سارعت تثبته وتبشره بتأييد الله له ؛ لأنه أهل لتأييد الله :

---

(١) « أولاد الحارة » ص ٣٥٠ - ٣٥٤ ملخصاً .

قالت خديجة له :

أين كنت يا أبا القاسم ؟ فوالله لقد بعثت رُسُلِي في طلبك حتى بلغوا  
أعالى مكة ورجعوا إليَّ .

قال : جاءني وفي يده منديل من حرير فيه كتاب ، فقال : اقرأ ، قلت :  
ما اقرأ ؟ فجذبني بشدة حتى احتبس مني النفس ، وظننت أنه الموت .

ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قلت : ماذا اقرأ ، فضمني إليه حتى ظننت أنه  
الموت ، ثم أرسلني فقال :

اقرأ ، فقلت : ماذا اقرأ ؟ فقال :

﴿ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* اِقْرَأْ وَرَبُّكَ  
الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (١) .

ثم انتهى فانصرف عني . . فكأنما كتبت في قلبي ، فخرجت حتى إذا كنت  
في وسط الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول :

« يا محمد ؛ أنت رسول الله وأنا جبريل ، فرفعت رأسي إلى السماء انظر  
إليه ، فإذا جبريل في صورة رجل صافٍ قدميه في أفق السماء يقول :

« يا محمد ؛ أنت رسول الله وأنا جبريل ، فما أتقدم وما أتأخر وجعلت  
أصرف وجهي عنه في آفاق السماء ، فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك ،  
فما زلت واقفاً ، فما أتقدم أمامي وما أرجع ورائي ، ثم انصرف عني فجئت  
أهلي » .

فلما سمعت خديجة هذا الكلام بادرت تقول له :

« أيشري يا ابن عم ، واثبت ، فوالذي نفس خديجة بيده إنني لأرجو أن  
تكون نبي هذه الأمة » (٢) .

---

(١) العلق : ١ - ٥

(٢) قصص الأنبياء ص ٣٣ - ٣٠٤ محمد أحمد جاد المولى وآخرين .

وفى موطن آخر قال لها :

« لقد خشيت على نفسى ؟ فقالت له خديجة :

« كلا ، أبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم وتصديق الحديث ، وتحمل الكل ، وتُقرى الضيف وتعين على نوائب الحق » ، وفى رواية : الدهر بدل الحق (١) .

فأين الشك والتردد والارتباب الذى زعمته الرواية ؟

وهل المرتاب يقول - ولأول وهلة - فوالذى نفسى بيده إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة ؟!

فما بال رواية « أولاد حارتنا » تنفث سموماً قاتلة فى أصول الإيمان وفروعه ، وتحملنا على إساءة الظن بها بواعث وغايات فى كل سطرٍ من سطورها ؟!



#### ● فرية ورقة :

أما ورقة بن نوفل ، أو يحيى حسب رمز الرواية له ، فلم يكن يعلم من أمر محمد شيئاً ، ولا كان محمد يتردد عليه قبل البعثة ، ويروى عنه أخبار الأُمم الغابرة ، ولا وُجد محمد مطروحاً على الطريق فحمله واجدوه إلى ورقة . كل هذه من افتراءات رواية « أولاد حارتنا » ، وليس لها من الواقع دليل ، ولا شبهة دليل ، وإنما بهتان خالص ؟!

ومحمد كانت كل حركاته معروفة لرجال قريش ، ولو كانوا رأوا محمداً يتردد على ورقة قبل البعثة ، ويتعلم منه ، لواجهوه لما رفضوا دعوته ونسبوا تعليمه إلى ورقة ، بدل أن يدعو ذلك لرجل أعجمى لا يعرف العربية ، ولا محمد يعرف لسانه الأعجمية ؟!

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى : ١٣٦/٢ ، ما عدا رواية « الدهر » .

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (١) .

أم أن رواية « أولاد حارتنا » كانت في ذلك الوقت ترصد محمداً بأجهزة التجسس الحديثة ، فعلمت من أحواله وتصرفاته ما لم يعلمه معاصروه من أمثال أبي لهب وأبي جهل ؟

أما قرأت رواية « أولاد حارتنا » قول الحق تعالى :

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (٢) .

فتكف عن هذا الاختلاق الذي طمَّ وعمَّ فيها ، فلم يسلم من همزها ولمزها أحد من شرفاء أولاد حارتها ؟!



### ● متى علم ورقة ؟

إن ورقة بن نوفل لم يعلم بشيء من شأن محمد ﷺ إلا بعد أن ذهبت خديجة إليه ، ومعها رسول الله ﷺ ، وكان ورقة ابن عم لخديجة ، فقالت له : اسمع من ابن أخيك ، فقال ورقة : ابن أخى ، ما ترى ؟ فأخبره بما كان ، فقال ورقة : هذا ( هو ) الناموس الذى أنزل على موسى ، يا ليتنى أكون حياً حين يخرجك قومك (٣) .

فقال صلى الله عليه وسلم : « أَوْ مُخْرِجِيَّ هُمْ » ؟ قال ورقة : نعم ، لم

---

(٢) الإسراء : ٧٦

(١) النحل : ١٠٣

(٣) إنما عرف ورقة إخراج الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة من الكتب السابقة على القرآن . وهذا دليل على أن تحريفاً وقع فى تلك الكتب بعد الإسلام ، وفيه تم حذف هذه الأخبار .

يأت رجل قط بما جئت به إلا عودى ، وأن يدركنى يومك أنصرك نصرأ مؤزرأ » (١) .

هذه الحقائق - جميعاً - لم تكن مجهولة عند مؤلف الرواية ، ولكنه أدار ظهره لها ، وراح يبتدع سيرة أخرى لخاتم الرُّسل لا يقره عليها إنس ولا جان . وهو مسئول عنها أمام الله ما لم يتب .



### الدليل العاشر - الهجرة إلى المدينة :

عرضت رواية « أولاد حارتنا » موضوع الهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة بين وضوح خافت ، وغموض طامس ، ونكتفى من كلامه عنها بهذه الإشارات ، ومن المعلوم أن أبا بكر الصديق كان يرصد خطوات المؤامرة التى يدبرها المشركون لقتل محمد ﷺ ، وقد جندوا أربعين فتى شاباً جلدأ ليضربوه جميعاً ، فلا يُعلم قاتله على وجه اليقين ، ويتفرق دمه فى القبائل ، فلا يستطيع بنو هاشم آل النبى أن يطالبوه بثأره ، هكذا زين لهم الشيطان ؟

وحين حددوا الليلة التى سينفذون فيها المؤامرة أرسل أبو بكر ابنته تخبر رسول الله ﷺ بضرورة الخروج من مكة ليلة التنفيذ . وفى هذا يقول مؤلف الرواية :

« إنه - يعنى أبا بكر الذى ترمز إليه الرواية بـ « صادق » يقول لك أن غادر الحارة فوراً ، فإن لهيطة وجلطة وحجاج وسوارس (٢) تأمروا على قتلك الليلة » (٣) .

---

(١) رواه الشيخان : البخارى ومسلم فى الصحيح .

(٢) لهيطة وجلطة وحجاج وسوارس رموز لمشركى مكة .

(٣) « أولاد حارتنا » ص ٣٩٨ .

ثم يقول :

« وفي ثوانٍ تأهب للرحيل ، فلثم إحسان - يعنى فاطمة - مرات ، ووقف وراء الخصاص يراقب الطريق ، فرأى رجالاً من أعوان الفتوات . . الدلائل تشهد بأنهم يتأهبون » (١) .

ويستمر الكاتب حتى وصول النبي ﷺ إلى المدينة ، ويشير إلى ترحابهم به فيقول :

« أعددنا لك داراً وسط ديارنا ، وفيها الآن تنام إحسان . وقال قاسم - محمد - : حسبنا أن لا نجد بيننا فتوات ، فقال صادق - أبو بكر - : حارة جديدة . . سكانها يتزايدون مع الأيام ، وقد انضم إلينا جميع المعلمين - أى الأنصار - من حارتنا . ولما صعد قاسم إلى السطح تلقاه الرجال بالأعناق وصافحته النساء ، وارتفعت الأصوات بالتحيات والتهليل والتكبير . . » (٢) .

هذا حديث الهجرة فى رواية « أولاد حارتنا » ينطق بكلام فصيح - مهما مؤه المؤلف وخادع - بأن صاحب هذه السيرة هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وإن عرضها المؤلف - كما ترى - فى حذر وتوجس ، ورموز وألغاز وفر بعد كر ، وإحجام بعد إقدام .



الدليل الحادى عشر - مشروعية القتال :

ظل المسلمون ثلاثة عشر عاماً بمكة قبل الهجرة يتعرضون لأفظع ألوان العذاب والاضطهاد ، دون أن يشهروا سلاحاً فى وجوه أعدائهم ؛ لأن الله لم يأذن لهم بالقتال فى تلك الفترة .

وبعد الهجرة إلى المدينة ، وتنظيم الأوضاع السياسية والاجتماعية فيها إذن الله لهم بقتال من قاتلهم ، فقال عز وجل :

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ٤٠٥ - ٤٠٧ (٢) « أولاد حارتنا » ص ٤٠٠

﴿ أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾  
الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ، وَلَوْلَا دَفْعُ  
اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْذَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ  
فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ، وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿ (١) .



### ● الإذن فى الرواية :

فى عبارة وجيزة للغاية أشار مؤلف الرواية إلى الإذن بالقتال فى الإسلام  
ومشروعيته ، وذلك عقب الحديث عن الهجرة مباشرة . قال المؤلف مسنداً  
هذا القول لقاسم :

« سترفع النبأيت كما رفعها جبل - يعنى موسى - ولكن فى سبيل الرحمة  
التي نادى بها رفاعه - يعنى عيسى - ثم نستغل الوقف لخير الجميع » (٢) .  
فالنبأيت التي سترُفع هى السلاح أياً كان نوعه ، وقد رمز الكاتب بها إلى  
الإذن بالقتال ومشروعيته .



### ● نتائج التطبيق :

ومما يؤكد ما فهمناه من رَفَع النبأيت أن المؤلف تحدث بعدها كثيراً عن  
معارك نشبت بين الجرابيع - أى المسلمين - وبين أعدائهم الفتوات ، وأن  
الانتصار الساحق كان للجرابيع بقيادة قاسم وأن الهزيمة كانت للفتوات .




---

(١) الحج : ٣٩ - ٤٠

(٢) « أولاد حارتنا » ص ٤٠٧ ، وربما رمز الكاتب بقوله : لخير الجميع إلى عالمية  
الإسلام .

## ● آثار الهزيمة :

كما يصور آثار الهزيمة فى صفوف الفتوات فى عباراتهم الآتية التى تفيض بالغيظ :

- اقتلوا الجرايع ؟!
  - هاتوا جثة قاسم تأكلها الكلاب ؟!
  - على الطلاق لأشربن من دمه ؟!
  - الجربوع اللئيم الجبان ؟!
  - كان يأخذ المليم من يدى ويوس التراب ؟!
  - راعى غنم ، والله هزئت .
  - قاسم الذى كان ينبغى أن يظل متسولاً طول عمره لولا قمر (١) .
- لقد أسرف المؤلف فى كيل السباب لقاسم ، وهو يعلم من هو قاسم فى روايته ؟؟

ولا سند لهذه الشتائم غير الخيال ، فكان حريا به أن يكون عفيف القلم وهو يتحدث عن هذه « الشخصية النبيلة الفاضلة » .

إن نتائج التطبيق هذه يمكن الاعتداد بها دليلاً مستقلاً لا تابعاً لدليل آخر ، وعلى كلٍ فكل الطرق تؤدى إلى روما كما يقول المثل .



## الدليل الثانى عشر - تعدد الزوجات :

لم يألوا خصوم الإسلام من المبشرين والمستشرقين وعملائهم ، لم يألوا جهداً فى تصيّد النقائص والعيوب ، وإصاقها بخاتم الرُّسُل ﷺ . وهم - فى هذا الصدد - يتكثرون كثيراً على واقعة تعدد الزوجات فى سيرة محمد ﷺ ، يكثررون اللغظ حولها ، ويبدأون ويعيدون القول فيها ، ويعدونها مثلبة لا منقبة ،

---

(١) أولاد حارتنا : ٤٢١

وعيباً لا كمالاً ، ويحلوا لكثير منهم أن يقارنوا بين عيسى ومحمد ، فيقدمون عيسى ويرفعون قدره ، لأنه عزف عن النساء فلم يتزوج قط ، ويحطون من قدر محمد ؛ لأنه - عندهم - زير نساء ، وشهوانى متهالك على الشهوات يقولون هذا وهم يعلمون أن تعدد الزوجات مكرومة لا مذمة ، وليس مما يجرح كرامة الرجل ، ولا يحط من شأنه شيئاً ، بل هو - أى تعدد الزوجات - سمة - من سمات الكمال ، وسلامة فى الخلق ، واستقامة فى الخلق .

ولو كان الأمر قد عكس لقالوا إن محمداً عاجز وعقيم ، أو مريض الأعصاب ، فاقد الإحساس ، معتل المزاج ؛ وليس رجلاً يتمتع بكل قواه النفسية والجسمية ، يسرون مع الأهواء أينما سارت كما قال ابن الرومى يلوم من يمدح غسل النحل مرة ، ويذمه أخرى تبعاً لهواه :

تقول هذا مُجَاجِ النحل تمدحه وإن تَعَبْتُ قلت ذا قى الزناير ؟!

هذا دأبهم فى إصدار الأحكام ، ونظرتهم المزدوجة للأمور ، وصدق شاعرنا ، حيث قال :

وعين الرضا عن كل عيب كليله ولكن عين السخط تبدى المساويا  
هذا ، وقد تابع الأستاذ نجيب محفوظ هؤلاء الحاقدين على الإسلام ورسول الإسلام ، فغمز فى سيرة محمد ﷺ ، ولز ، فقال بالحرف الواحد :

### ● التعدد فى الرواية :

« إنه توسع فى حياته الزوجية ، فعلى حبه بدرية - يعنى عائشة - رضى الله عنها - تزوج حسناء من آل جبل - يعنى صفية بنت حيى بن أخطب من اليهود - وأخرى من آل رفاعه - يعنى مارية القبطية من النصارى - وتعشق امرأة من الجرايع (١) - يعنى المسلمين العرب - ثم تزوج منها أيضاً » (٢) - يعنى زينب بنت جحش - زوجة زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ .

(١) من قبل كان يطلق على العرب : الجرايع ، والآن يطلق الجرايع على المسلمين عرباً أو غير عرب ؟  
(٢) « أولاد حارتنا » ص ٤٤٣

## ● كلمة عن التعدد :

قبل أن نتصدى لكلام صاحب الرواية نضع بين يدي القارئ كلمة عن تعدد زوجات النبي ﷺ ، وخلاصتها :

أن لهذا التعدد دوافع غير التي ينظر إليها خصوم الإسلام وعملاؤهم .

تلك الدوافع كانت ترجع إلى هذه الاعتبارات :

● دوافع لها طابع اجتماعي كزواجه من صفية بنت حيي ، فقد وقعت صفية في الأسر وأبوها من سادة قومه ، فلو تزوجها أو تسرى بها غير النبي لكان في ذلك حط من قدرها والإسلام يرحم ممن يرحم ثلاثة :

غنياً افتقر ، وعزيز قوم ذل ، وعالمًا ضاع بين جهال ، فبمواساته لصفية ، وإكرامه لها صارت أمّاً من أمّهات المؤمنين ، ولم يتزوجها الرسول لحسنها كما همز مؤلف الرواية .

● ودوافع إنسانية كزواجه من سودة بنت زمعة وهي امرأة عجوز ، فتزوجها ليكون مأوى وكهفاً لها بعد ترملها ، حيث توفي زوجها بعد العودة من الهجرة الثانية إلى الحبشة ، فصارت بلا عائل ولا قريب لها .

● ودوافع وفاء وتكريم ، كزواجه من السيدة عائشة رضي الله عنها ، وفاء لبلاء أبيها في الإسلام بلاء حسناً ، وحفصة بنت عمر ، وكم لعمر من أباد بيضاء في نصره الإسلام .

وهكذا تجد وراء زيجات المصطفى صلى الله عليه وسلم مقاصد نبيلة ، ولم تكن الشهوة المجردة سبباً في أى زيجة من زيجاته ، وأياً كان الأمر فإن تعدد الزوجات - مع القدرة - شرف ونبيل ، وهو غير تعدد الخليلات في بيئة خصوم الإسلام من مبشرين ومستشرقين يملؤهم الحقد ، ويعُمّهم التعصب ؟



## ● عود لكلام مؤلف الرواية :

فى العودة إلى كلام المؤلف نتصدى لمسألة واحدة هى قوله :

« وتعشّق (١) امرأة من الجرايع وتزوجها أيضاً » ؟

يشير الكاتب إلى قصة زينب بنت جحش ، وخلاصة هذه القصة : أن المسلمين فى بادئ الأمر كانوا يعاملون أبناءهم من التّبنّى معاملة أبنائهم من أصلابهم ، فيورثونهم ويعتبرون زوجاتهم محرمات كحرمة زوجة الابن من الصلب ، فأراد الله أن يبطل هذا السلوك ، وضرب لذلك مثلاً عملياً برسوله صلى الله عليه وسلم ، حيث تزوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش ، وكان الرسول يعلم أن زيدا سيطلقها ثم يتزوج هو منها ليكون قدوة لغيره من المسلمين ، كما أخبره ربه ، ودب الخلاف بين زيد وزينب ، وكلما هم زيد بالتطليق نهاه رسول الله ﷺ ، وقال : أمسك عليك زوجك واتق الله ، وهو يعلم أن المصير هو الطلاق ، ولكن خشى أن يقول الناس إن محمداً حرّض زيدا على طلاق زينب ليتزوجها هو ؟

ولما وقع مما ليس منه بد ، زوج الله محمداً زينب ، وتابعه المسلمون ، فلم يعاملوا أبناءهم من التّبنّى معاملة أبنائهم من أصلابهم ، وفى ذلك نزل قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ ، وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ، فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لَكَى لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (٢) .

لغظ المبشرون والمستشرقون حول هذه الواقعة ، وقالوا : إن محمداً لما رأى

---

(١) تأمل كلمة « تعشّق » تجد لها معنى خبيثاً فهى غير « عشق » ، لأنها تدل على

شدة العشق ، وتهالك صاحبه فيه .. !؟

(٢) الأحزاب : ٣٧ ، أنعم الله عليه : أى بالإسلام ، وأنعمت عليه : أى بالعتق

والحرية ، مبديه : مظهره ، وطراً : غرضاً ، أدعيائهم : أبناؤهم بالتّبنّى .

زينب بعد زواجها من زيد أعجبه حسنهما ، وهام في غرامها ورجا أن يطلقها زيد فتخلو له هو ، وأنه كتم هذا العشق في نفسه ففضحه الله ، وأظهره للناس : ﴿ وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ هكذا تصيد خصوم الإسلام هذه التهمة ، وتمسكوا بظواهر الألفاظ ، مع أن الذى كان يخفيه محمد فى نفسه ، هو أن زيدا سيطلق زينب لا محالة ، ثم يتزوجها هو لا محالة ، لكن بشرية الرسول غلبت عليه ، فخشى لغط الناس لو أظهر لهم الحقيقة المرادة .

وهل لو كان محمد كما قالوا كان الله يجاريه على هذه « الفعلة » ، ويحرم زيدا من زوجته ليتمكن منها محمداً ؟!

وزينب ابنة عمه محمد ﷺ ، فهل من المعقول أنه لم يرها ولم يعرف جمالها إلا بعد زواجها من زيد ، وذوو القربى يتزاورون ويرى بعضهم بعضاً ، وبخاصة قبل نزول آيات الحجاب ، فما أعظم الفرية التى يفترها خصوم الإسلام ، وما أبعد مؤلف رواية « أولاد حارتنا » حين يجارى أعداء الإسلام ، ويسد أذنيه عن سماع الحق ، ويغمض عينيه عن رؤيته ، ويلغى عقله عن فهمه ؟ ما أبعد عن الصواب ؟!

ومهما كان الأمر فإن « قاسم » فى رواية الأستاذ نجيب محفوظ ، هو : محمد بن عبد الله خاتم النبيين ، رضى محفوظ أم كره ؟



### الدليل الثالث عشر - خلافة أبى بكر :

من نافلة القول التذكير بأن أول من خلف رسول الله ﷺ هو أبو بكر الصديق ، الذى ارتضته الأمة ليكون قائداً لها بعد رحيل صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم .

ومن نافلة القول - كذلك - الإشارة إلى عدل أبى بكر فى الرعية ،

والاقتداء برسول الله ﷺ في إدارة شئون المسلمين ، ورعاية مصالحهم ،  
وحملهم على كتاب الله وسُنَّة رسوله الكريم الأمين .  
هذه الحقائق معروفة حتى لدى غير المسلمين ، ممن اهتموا بدراسة الإسلام ،  
وبخاصة في عصر الرسالة ، وعصر الخلفاء الراشدين .



### ● خلافة أبي بكر في الرواية :

لم تُغفل الرواية « أولاد حارتنا » واقعة خلافة أبي بكر الصديق عقيب رحيل  
النبي عليه الصلاة والسلام ، وأبو بكر في الرواية هو « صادق » كما تقدم .  
وكم كنّا نود أن تخلو خاتمة الحديث عن « قاسم » من الهمز واللمز  
والسخرية من قِيم الإسلام ورجاله الأعلام ، ولكن للأسف الشديد فإن  
الأستاذ نجيب محفوظ مؤلف « أولاد حارتنا » يشير إلى خلافة أبي بكر وعدله  
المضروب به الأمثال وسط هالة من السخرية والازدراء ، وها هي ذى عبارته  
بالحرف الواحد :

« ستسمع حول الجوزة الدائرة في الغرز بين الحسرات والضحكات أن  
« صادق » خلف « قاسم » على النظارة ، فسار ( فيها ) سيرته » (١) .  
إن « صادق » خلف « قاسم » .

هذه الجملة بعد فك الرمزين اللذين فيها تصبح يقيناً هكذا :

« إن أبا بكر الصديق خلف محمد بن عبد الله » .

هذا المعنى يعرفه المؤلف حق المعرفة ، ومع هذا تراه يهزأ به ، ويسخر منه ،  
فيجعله حديث « الغرز » و« الجوزة » الدائرة في تلك « الغرز » ؟!



---

(١) أولاد حارتنا ص ٤٤٧

الدليل الرابع عشر - نشأة التشيع لعلّى رضى الله عنه :

حتى نشأة التشيع لم تغفلها رواية « أولاد حارتنا » وفيها يقول المؤلف :  
« . . وأن قوماً رأوا « حسن » - أى علىّ بن أبى طالب - أحق منه - أى من أبى بكر - بالنظارة - أى الخلافة - لقربته من قاسم ، وأنه الرجل الذى قتل الفتوات ؟ وأنهم حرصوا « حسن » على رفع نبوته الذى لا يقاوم ، فأبى أن يعود بالحارة إلى عهد الفتونة » (١) .

بلا أدنى ريب نرى المؤلف هنا يتحدث عن نشأة التشيع ويذكر أسباب تفضيل علىّ بن أبى طالب على أبى بكر فى نظر الشيعة ، وهى :

● قرابة علىّ من النبى عليه الصلاة والسلام ، لأنهما ابنا عم ، ثم زواجه من فاطمة الزهراء ابنة خاتم المرسلين .

● بلاء علىّ فى الحروب وبطولاته النادرة ، وقوة بطشه بالأعداء ، ثم أشار المؤلف إلى إيثار علىّ للمسالمة والحفاظ على وحدة الأمة ، فلم يطع محرّضيه على القتال .

فهذه أربعة عشر دليلاً - بل تزيد - على أن « قاسم » فى الرواية هو محمد بن عبد الله ورسول الله إلى العالمين .

كما تدل على صحة معانى الرموز التى وردت فى هذا الفصل مثل :  
زكريا - حسن - صادق - بدرية - قمر - إحسان . . . إلخ إلخ .



● تعقيب :

يحسن بنا - قبل الشروع فى دراسة الفصل الأخير « عرفة » أن نسجل فى إيجاز أبرز النتائج التى أقمنا عشرات الأدلة عليها من واقع رواية « أولاد حارتنا » من المقدمة إلى نهاية الفصل الرابع « قاسم » ، لأن هذه الفصول تمثل وحد واحدة شديدة التماسك ، وتلك النتائج هى :

- ١ - الجبلاوى فى الرواية هو رمز الألوهية ( الله ) ؟!
  - ٢ - الحارة فى الرواية هى الدنيا بأسرها .
  - ٣ - أولاد الحارة هم بنو آدم منذ خلق آدم إلى تاريخ وضع الرواية .
  - ٤ - أدهم وأميمة وهمام وقدرى هم : آدم وحواء وهابيل وقابيل .
  - ٥ - إدريس هو إبليس أو الشيطان .
  - ٦ - جبل هو موسى ، وآل حمدان وآل جبل هم اليهود قبل موسى وبعده .
  - ٧ - رفاعه هو عيسى ، وعبدته هى مريم وآل رفاعه هم النصارى .
  - ٨ - قاسم هو محمد ، وقمر خديجة ، وصادق أبو بكر ، وبدرية عائشة ، وزكريا أبو طالب ، وإحسان فاطمة ، وحسن على بن أبى طالب ، والجرايع هم العرب قبل الإسلام ، والمسلمون بعد الإسلام .
  - ٩ - يحيى هو ورقة بن نوفل .
  - ١٠ - أما الموضوع الذى تحدثت عنه الرواية فى الفصول الأربعة التى فرغنا من دراستها فهو :
- « التاريخ الدينى النبوى من عهد آدم إلى عصر خاتم الرُّسل » .

